

سلسلة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

# فتح مكة



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطوي مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: لينا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب التاسع عشر

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) : 978-960-4-9960-3

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة : يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية : فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

# فتح مكة

منهاج العالمية  
تأليف  
لينا الكيلاني  
International Curricula

# فتح مكة

كان ذلك في رمضان سنة 8 للهجرة حين دخل أبو بكر رضي الله عنه إلى غرفة ابنته عائشة رضي الله عنها، ولدهشته، وجدها تُعدّ تجهيزات الرسول ﷺ للحرب. فلم يعلم أي أخبار عن حرب قادمة.

قال أبو بكر رضي الله عنه وهو في حيرة: «ما هذا يا ابنتي، هل قال لك الرسول ﷺ  
أن تجهزي معداته؟»

فأجابته عائشة رضي الله عنها: «نعم». فسألها أبو بكر رضي الله عنه: «إلى أين هو ذاهب؟» فردت عائشة رضي الله عنها: «لا أعلم».

غادر أبو بكر رضي الله عنه غرفة ابنته وهي تواصل عملها، وسار وهو غارق في التفكير. لم يكن يعلم ما يحدث، لكنه كان واثقاً أنه حين يرى الرسول ﷺ أن الوقت مناسب، سيُطلع أصحابه.

وبعد أيام قليلة، اتضح جزء من الحقيقة عندما جاء أبو سفيان إلى المدينة المنورة، وتبين أن قريش قد نقضت صلح الحديبية. ومع ذلك، لم يكن أحد يعلم ما الذي سيفعله الرسول ﷺ أو متى. كان الغموض يخيّم على المدينة المنورة، والناس يعيشون في قلق وترقب. هل هذا يعني حرباً، لا شك أن ذلك سيؤدي إلى إجراءات حاسمة، لكن ما هي؟ ومتى؟ وأين؟ كان الجو مشحوناً بالتوتر.

وفي الحقيقة، كان الرسول ﷺ ينوي فتح مكة المكرمة. كان نقض قريش للمعاهدة خطأً قاتلاً، وسيدفعون ثمنه. إضافة إلى ذلك، آن الأوان لدخول الإسلام مكة المكرمة وتطهيرها من مظاهر الجاهلية. لكن في الوقت الراهن، أراد الرسول ﷺ أن يبقى العملية سرية، فأرسل ثمانية رجال في مهمات إلى نجد وغيرها لصرف انتباه الناس عن الحرب المرتقبة مع قريش.

ومع ذلك، كان الخوف والقلق المنتشر في الأرجاء يفوق قدرة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه على التحمل. وكان حاطب رضي الله عنه من أصحاب الرسول ﷺ المؤوثقين، وقد شارك في غزوة بدر، لكنه ارتكب أمراً سيئاً للغاية.

فأسرة حاطب رضي الله عنه كانت لا تزال في مكة المكرمة دون من يحميها، وكان قلقاً جداً عليهم، لذا أرسل رسالة إلى قريش يحذرهم من نية المسلمين. راغباً في كسب ودّ قريش وتأمين الحماية لعائلته، أعطى حاطب رضي الله عنه الرسالة لامرأة وطلب منها أن تخفيها جيداً. لكنّ الرسول ﷺ أُوحى إليه بأمر حاطب رضي الله عنه، فأرسل اثنين من أصحابه للحاق بالمرأة. وعندما أوقفوها، فتشوا عن الرسالة طويلاً، إلى أن وجدوا الرسالة مخبأة بعناية بين ضفائر شعرها.

غضب الصحابة غضباً شديداً حتى أن عمر رضي الله عنه أراد قتل حاطب رضي الله عنه، واتهمه بالنفاق. لكنّ الرسول ﷺ أراد الإنصاف، فاستدعى حاطب رضي الله عنه على الفور.

قال له رسول الله ﷺ: «ما الذي حملك على فعل هذا يا حاطب؟» فبدأ حاطب قائلاً: «يا رسول الله، أنا مؤمن بالله ورسوله، ولم أغير ديني، ولم أتخلّ عنه.»

ثم روى حاطب رضي الله عنه للرسول ﷺ كيف دفعه الخوف على عائلته لارتكاب هذا الخطأ الجسيم، فعفا عنه الرسول ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام لعمر رضي الله عنه الذي ما زال يرحب في قتله: «لقد شهد بدر، وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فأطلق عمر رضي الله عنه سراحه وقال: «الله ورسوله أعلم».

بعد ذلك، انطلقت الاستعدادات لفتح مكة المكرمة. ففي العاشر من رمضان سنة 8 هـ، سار عشرة آلاف جندي مسلم نحو مكة المكرمة. لكن قلوبهم لم تكن تنبض بالعداء أو الرغبة في إلحاق الضرر بقريش، بل كانت هذه مسيرة رحمة وشوق لتطهير البيت الحرام من الأصنام، وإشهار عبادة الله سبحانه وتعالى وحده في مكة المكرمة.



و عند منطقة تُدعى الجحفة، انضم العباس رضي الله عنه عم الرسول ﷺ وأسرته إلى المسلمين. وعلى الطريق، التقوا بأبي سفيان بن الحارث و عبد الله بن أمية رضي الله عنهم، وهما من أبناء عمومه الرسول ﷺ فأسلموا.

واصل المسلمون الصائمون المسير حتى وصلوا إلى منطقة تُدعى القديد حيث وُجد الماء، فكسروا صيامهم هناك، ثم تحركوا نحو منطقة تُدعى مر الظهران الرسول ﷺ كان رجلاً رحيمًا عادلًا، حيث أمر ﷺ بإشعال نيران المعسكر كي تتبه قريش لقدوم المسلمين، إذ لم يرغب في مbagتتهم. كان الهدف من ذلك إظهار نية المسلمين الواضحة وعدم اللجوء إلى أساليب الخداع أو الغدر، حيث أراد الرسول ﷺ أن يعلن وجودهم بوضوح ويمنح الطرف الآخر الفرصة للاستعداد والتفاوض إن رغبت قريش بذلك.

# أنوار في الليل

في هذه الأثناء، كانت مكة المكرمة في حالة كآبة، لأن غيمة من الحزن تخيم على المدينة. كانت الأيام بعد عودة أبي سفيان تمر ثقيلة، والخوف يدق في قلوب أهل مكة المكرمة وهم يتساءلون عن مصيرهم. ماذا سيفعل محمد ﷺ بهم؟ ومع ذلك، لم يكن لديهم فكرة عما ينتظرون من خلف الجبال.

ثم في ليلة من الليالي، رأوا بأعينهم آلاف النيران تضيء في البعد، إنها تذكرة رهيبة بما هو قادم نور الإسلام قادم. امتلأت قلوب أهل مكة بالذعر. المسلمين وصلوا.

فخرج أبو سفيان على الفور برفقة اثنين من المشركين الأشرار ليتحققوا مما يجري.



لكن قبل أن يصلوا إلى المعسكر، التقى بهم العباس رضي الله عنه ونصحهم بأن يخبروا قومهم بالاستسلام. ومع ذلك، ظل أبو سفيان متربداً، حتى نصحه العباس رضي الله عنه بالذهاب لمقابلة الرسول ﷺ. ففكر أبو سفيان بالأمر، وقال في نفسه إن محمدًا ﷺ كان دائماً رجلاً عاقلاً. فوافق على الذهاب مع العباس رضي الله عنه إلى المعسكر الإسلامي.

وعندما دخل عدو الإسلام اللدود معسكر المسلمين، ثار غضب الجنود، كيف يجرؤ على القدوم إلى هنا، لكن أبو سفيان، الذي كان تحت حماية العباس رضي الله عنه، استطاع رؤية الرسول ﷺ في اليوم التالي.

وفي صباح اليوم التالي، قال الرسول ﷺ لأبي سفيان: «ويحك! ألم يأن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله؟» فلم يكن من أبي سفيان إلا أن طلب المغفرة من الرسول ﷺ وأسلم.





ثم طلب العباس رضي الله عنه من ابن أخيه عليه السلام أن يمنح أبا سفيان رضي الله عنه تكريماً، لأنه كان يحب أن يفخر بين قومه. فأعلن رسول صلوات الله عليه وآله وسلامه قائلاً: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن».

## فتح مكة

اشرقت الشمس في ذلك اليوم كما تفعل كل يوم، لكن الجو كان مختلفاً، كان مشبعاً بالتوقع والترقب. كان ذلك في السابع عشر من رمضان، السنة الثامنة للهجرة.

في هذا اليوم سيدخل المسلمون مكة المكرمة. يا لها من لحظة كيف لقلوبهم أن لا تخفق عند التفكير بذلك، كيف لا تتألق أعينهم حماساً في هذا اليوم سيدخلون المسجد الحرام كفاحين، بعدهما كانوا قد فرّوا منها كلاجئين.

أمر الرسول ﷺ العباس رضي الله عنه أن يصعد مع أبي سفيان رضي الله عنه إلى قمة عالية ليرى الجيش الإسلامي العظيم أثناء تقدمه. ثم بدأت كتائب جنود الله ﷺ تسير نحو المدينة المقدسة، وراياتهم مرفوعة ترفرف في الرياح. قبيلة تلو القبيلة، تسير في تشكيلات رائعة، وأبو سفيان رضي الله عنه يشاهد في ذهول وانبهار. لقد كان موكباً مهيباً بحق. لا شك أن أحداً لن يتمكن من صد هذا الجيش.

بعد أن رأى جيش المسلمين الجبار، انطلق أبو سفيان رضي الله عنه بسرعة ليحذر قومه من قتال المسلمين. وجاب طرقات مكة وهو يصيح: «من دخل المسجد الحرام فهو آمن! ومن بقي في بيته وأغلق بابه فهو آمن! ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن!».

عندما سمع أهل مكة هذه الكلمات من عدو الإسلام اللدود، بدأوا يسخرون منه. بل إن زوجته شدت شاربه ونعته بالجبن. ومع ذلك، سارع الناس إلى الاحتماء، يهربون في كل اتجاه طلباً للسلامة. ولم يبق إلا نفرٌ قليل من أهل مكة، أغراهم الحمق فقرروا مواجهة المسلمين.



## قواعد الرحمة، واستراتيجية الفتح

في تلك الأثناء، أعطى الرسول ﷺ تعليماته الأخيرة لجنوده، وذكّرهم بعدم قتل أي شخص إلا للدفاع عن النفس.

وبذكائه العسكري، أمر كتائبه أن يدخلوا مكة المكرمة من جهات مختلفة. وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى وسط المدينة بعد أن واجه وقتل اثني عشر متمرداً بدأوا القتال. كما وصل الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى وجهته بنجاح، وغرس الراية بكل فخر على أرض مكة المكرمة.

الله أكبر!

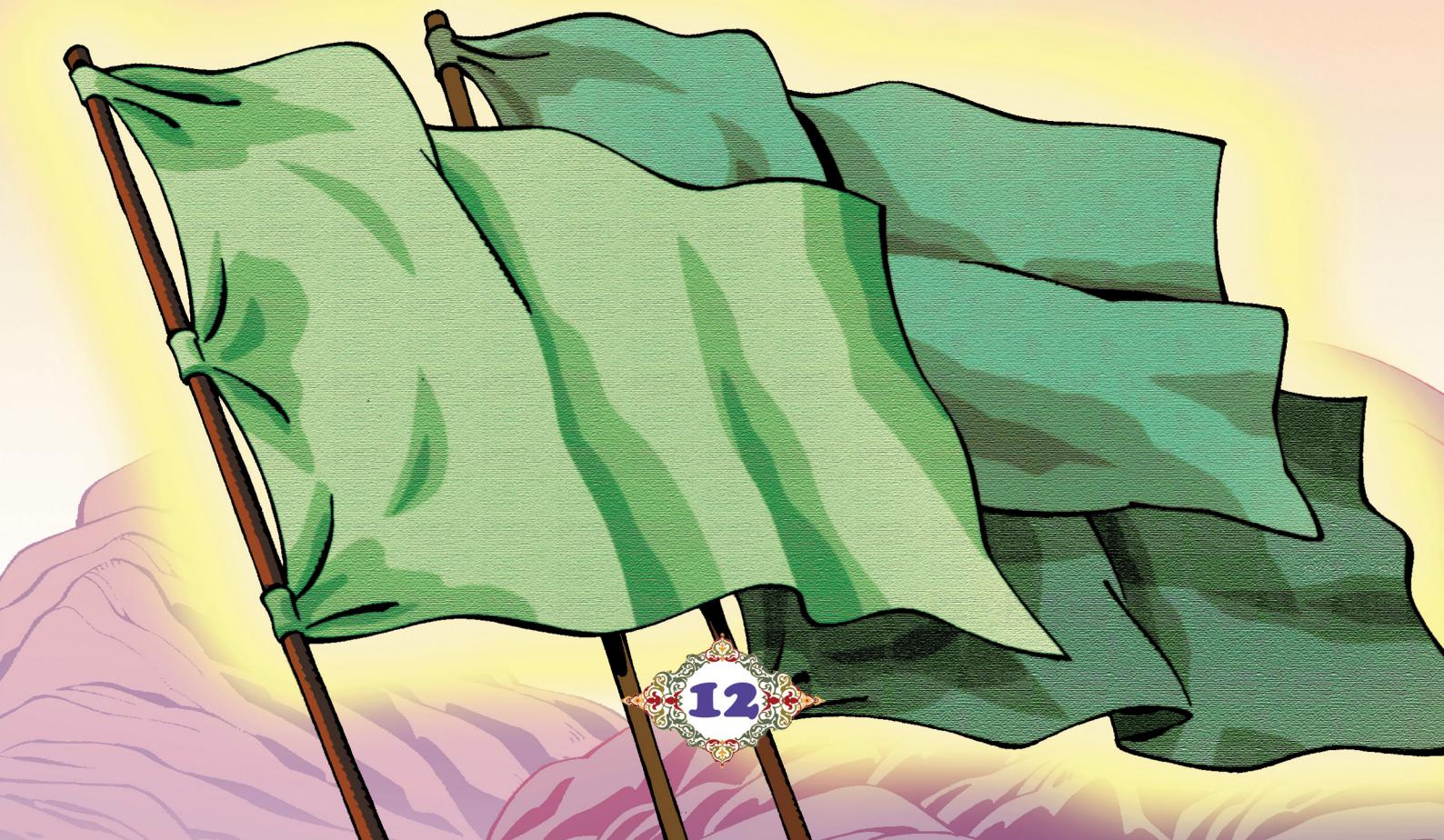
الله أكبر!

لقد فتحت مكة!

وصل الرسول ﷺ إلى هناك، بينما كانت راية الزبير رضي الله عنه ترفرف في الهواء. فنصبت له خيمة، وصل فيها شكرًا لله العلي العظيم على هذا النصر المجيد. {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾} [الصف : ١٣].

## تطهير البيت الحرام

بعد ذلك، توجه الرسول ﷺ وجشه من الصحابة الأخيار إلى الكعبة، البيت الذي بناه جده إبراهيم عليه السلام. ومع اقتراب الرسول ﷺ من البيت العتيق، خفض رأسه تواضعًا وخضوعًا لله، حتى كاد أن يمسّ رحل ناقته. لكن للأسف، كانت الكعبة ملوثة بالأصنام، إذ كان حولها ثلاثة وستون صنماً. فشرع النبي ﷺ في تحطيمها وهو يتلو: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا} ﴿٨١﴾ [الإسراء : ٨١].



وكان كلما دفع صنمًا بعصاه، سقط على وجهه وتحطم. واستمر صلوة في فعل ذلك حتى دمر جميع الأصنام المحيطة بالكعبة. ثم طاف بها، وطلب المفاتيح ودخل إلى داخلها برفقة بلال بن رباح رضي الله عنه. وكان داخل الكعبة أيضًا ملوثاً بالصور والأصنام، فأمر النبي صلوة بتدميرها فوراً. وصلى مرة أخرى داخلها، ثم عاد إلى باب الكعبة، ونظر فرحاً إلى الجمع الغفير من الناس، ثم خاطبهم قائلاً: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له. صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده».



ثم توجه النبي ﷺ بخطاب مباشر إلى قريش، ناصحاً إياهم أن يكفوا عن التكبر والغرور، ومذكراً قريش أن جميع البشر من أصلٍ واحد، وهو آدم عليه السلام. وتلا عليهم آية من القرآن الكريم، تُبيّن أن خير الناس هم من يتقون الله. وبهذا الخطاب، ألغى الرسول ﷺ غرور قريش الذي ورثوه من الجاهلية.

ومع ذلك، لم يأتِ الرسول ﷺ على ذكر المصير الذي ينتظرون، وهو أكثر ما كانوا يخشونه. ثم قال النبي ﷺ: «يا معاشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟» وبالرغم من عدائهم للإسلام، فقد اعترفوا بأنهم لم يروا من محمد ﷺ إلا الخير. فقالوا: «أخٌ كريم، وابنُ أخي كريم. نرجو الخير منك».

عندما، أجابهم النبي الكريم ﷺ، أكرم من وطئ الأرض، سأقول لكم كما قال النبي الله يوسف عليه السلام لأخته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : ٩٦]. ثم أضاف: «اذهبوا فإنتم الطلقاء».



ما أروع هذا الموقف! لا شك أن قريش لم يروا مثله قط، وقد حفرت هذه الرحمة في قلوبهم ما داموا على قيد الحياة.

بعد ذلك، أُعلن النبي ﷺ أن مفتاح الكعبة سيبقى في يد عثمان بن طلحة رضي الله عنه وذراته، وأن مسؤولية سقاية الحجيج ستبقى في يد العباس رضي الله عنه. ثم حان وقت الصلاة، فصعد بلال رضي الله عنه إلى ظهر الكعبة لينادي بالأذان. ومع ارتفاع صوت بلال على أسطح مكة المكرمة داعياً المسلمين للصلاة، أعلن كذلك عن بداية عهدٍ جديدٍ.

ارتفع صوته ندياً:

الله أكبر، الله أكبر

الله أكبر، الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمداً رسول الله

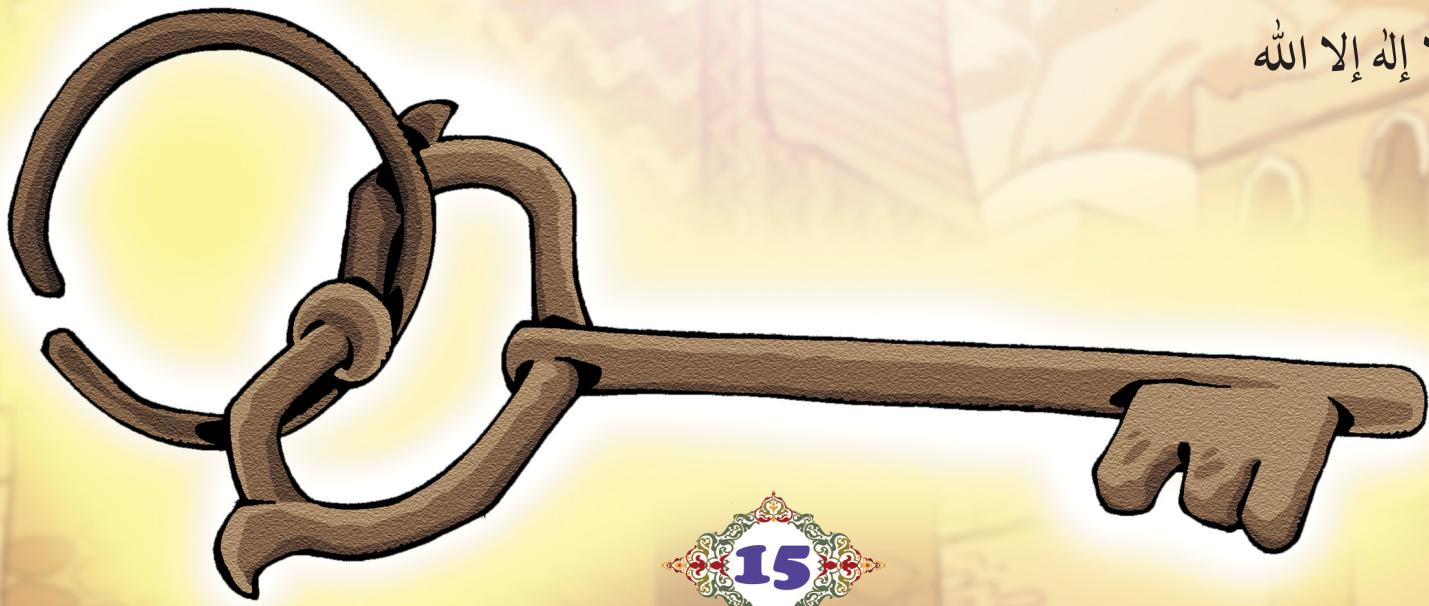
أشهد أن محمداً رسول الله

حي على الصلاة، حي على الصلاة

حي على الفلاح، حي على الفلاح

الله أكبر، الله أكبر

لا إله إلا الله



وَتَعَالَى  
سُبْحَانَهُمْ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

أَنْصَرَ اللَّهُ  
عَبْدَهُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

كانت قريش في موقفٍ حرج للغاية بعد أن نقضت المعاهدة. لم يكونوا يعلمون ما سيكون عليه مصيرهم. ففي السنة الثامنة بعد الهجرة، خطط الرسول ﷺ لدخول مكة. غادر المسلمون نحو مكة المكرمة في اليوم العاشر من رمضان، وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل. وعندما خيم المسلمون خارج مكة المكرمة، أمر النبي ﷺ جنوده في الليل بأن يشعّل كل واحدٍ منهم ناراً. فرأى أهل قريش آلافاً مؤلفة من النيران، فاشتّد بهم الخوف وتوجّسوا الأسوأ.

خرج أبو سفيان مستطلعاً نوياً المسلمين تجاه قريش. فلقىه النبي ﷺ، ودعاه إلى الإسلام، فأسلم. وفي اليوم التالي، دخل المؤمنون مكة المكرمة وفتحوا المدينة المقدسة دون مقاومة تذكر. فسامح رسول الله ﷺ أعداءه في مكة المكرمة، ولم ينتقم منهم.

ثم قام النبي ﷺ بتحطيم جميع الأصنام التي كانت داخل الكعبة وحوالها، وتلا قوله تعالى:

﴿وَقُلْ جَآءَ الْحُقْ وَزَهَقَ الْبَطِلُ إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].



مناهج العالمية  
International Curricula

info@iconetwork.com

www.iconetwork.com

f/iconetwork X @iconetwork

ISBN No: 9960-9682-4-3  
LD. No: 1427 / 312



9 789960 968247